مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

المديح في شعر شعراء (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) لابن عقامة اليمني (480هـ) دراسة تحليلية

الباحثة: بيان عدنان نعمه
إشراف: أ. د. محمد حسين المهداوي

التخصص العام للبحث: اللغة العربية	التخصص الدقيق للبحث: أدب عباسي

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

المديح، جواهر الأخبار، ومُلح الأشعار

المستخلص باللغة العربية:

يهدف البحث إلى دراسة فن المديح في شعر شعراء (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) بوصفه موضوعاً فنياً يستعمله الشعراء في نصوصهم الشعرية المعبرة عن الاعجاب بصفات الممدوح، وقد تنوعت اتجاهاته عند الشعراء فمنه مدح ديني ومنه مدح سياسي، ومدح اجتماعي، وتنوعت مضامينه بين العفة والعقل والكرم والشجاعة، وانتهى البحث إلى خاتمة أوجزنا فيها أهم النتائج التي توصلت إليه الباحثة.

doi: https://doi.org/10.63797/bjh.

التمهيد

تعريف بالمؤلف، وكتابه

أولاً: في سيرة المؤلف:

هو "أبو محمد الحسن بن محمد بن أبي عقامة بن الحسن بن محمد بن هارون التغلبي الملقب بـ(مؤتمن الدين)(الجعدي، د.ت، 241، والكندي، د.ت،252/1) ، ولم تشر المصادر إلى تاريخ معينٍ لولادته بينما ذكرت مكانها في اليمن ولعل سبب ذلك ربما يعود إلى جعل الأولوية لنتاجاته الأدبية عوضاً من التفاصيل الشخصية.

ينحدر اليمني من سلالة أبي عقامة(الزبيدي، 2000م، 120/33)، وهم من كبار قضاة زبيد في القرن الخامس الهجري، يعود نسبهم إلى تغلب وقد وفدوا مع ابن زياد، واشتهروا بالعلم والفضل، ومن خلالهم ساد المذهب الشافعي في زبيد، وظلوا في القضاة إلى ان تولى الملك علي بن مهدي الرُّعيني الحميري – الحنفي مذهباً- فأزالهم عن الخطابة بالجامع الكبير حين أزال دولة الحبشة(ابن المجاور، 1996م، 26).

كان ابن عقامة من كبار القضاة ومن الشعراء والأدباء المشهورين في اليمن، وإليه تنسب الخطب العقامية، عُد خطيباً مصقعاً وشاعراً مخلقاً واماماً ومدرساً في العربية واللغة(ابن عقامة اليمني، 2024م، 7/1)، حيث ينتمي إلى واحدة من أبرز وأهم الاسر العلمية في تاريخ اليمن، إذ أسهمت أسرته في تأسيس مدينة زبيد عند مطلع القرن الثالث الهجري، بتسنم أفرادها أرفع المناصب في الدولتين الزيادية والنجاحية، فكان منهم العلماء والقضاة والأدباء والشعراء، ويعد الحسن بن أبي عقامة ذروة هذه الأسرة ودُرتها حيث ذكره الذهبي بقوله: "كان القاضي محمد بن أبي عقامة رأس أهل العلم والأدب بزبيد، ... ومن أعيان الفقهاء، الذين افتوا ومن أفضل أهل الأدب"(الذهبي، 1996م، 593).

وذكره الأصبهاني بقوله: "هو كبير البيت والقدر، غزيرً الفضل، وكان فقيهاً شاعراً وإماماً في العربية واللغة ماهراً(الاصبهاني، د.ت، 557/2).

وبهذا نستطيع القول: إن أغلب الآراء حوله تجمع على مسألة تمرسه في اللغة والأدب وكونه فقيهاً بارعاً، وشاعراً متقناً.

وأشار ابن سمرة إلى سلالته بقوله: "بني عقامة أول من قدم وجَهرَ ببسم الله الرحمن الرحيم، يعني في افتتاح القراءة في الصلاة، وعنهم ظهرت تصانيف مذهب الشافعي" الجعدي، د.ت، 241).

وله شعر فائق بالحسن والجودة نذكر منه: (الكامل)

نحن الذي متينة أوصالنـــــــا في الدين لا قطع الردى أوصالنا
هذا الذي أوصى به جدّ لنـــا لمحا بمجد جدوده أوصى لنـــا" (الشافعي، 2008م،523/3)

ومن شعر القاضي ابن عقامة انه لما سمع قول المعري(449هـ)(الزركلي، 2002م، 157/1)

(الطويل)

إذا ما ذكرنا آدمـاً وفعاله وتزويج ابْنيه لبنتيه في الدُنـــــا
علمنا بأنَّ الخلف من أصل زَينةٍ وأنَّ جَّميع الناس من عنصر الزِّنا

أجابه بقوله:

(الطويل)

لعمْرُك أمّا فيك فالقولُ صادقٌ وتكذبُ في الباقين مَنْ شطَّ أوْ دَنا
كذلك إقرارً الفتـى لازمٌ لـه وفي غَيره لَغوٌ كذا جاءشرعُنا (الاصبهاني، د.ت، 251/3)

ثانياً/ إطلالة على كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار):

يعد كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) للقاضي مؤتمن الدين الحسن بن محمد بن أبي عقامة اليمني، المتوفى في حدود (480هـ)(الكرماني، د.ت، 66) ، ذخيرة من ذخائر الأدب ومن كتب الأسمار والمحاضرات، لا يقتصر على جانب من الأخبار الأدبية فقط بل يتضمن في طياته كثيراً من المسائل الكلامية والفقهية واللغوية، وغيرها من المسائل التي لها أهمية ، وأثارت جدلاً حولها فنجده يستعرضها ويبدي رأيه فيها.

وهو من الكتب التأسيسية في التاريخ الحافل لمدينة زبيد؛ هذا من جانب، ومن جانب آخر كونه أول جهد تأليفي يمني في هذا المنحى من التأليف الذي اشتهر بها أعلام كبار كالجاحظ، وابن قتيبة، وابن عبد ربه، والأصفهاني، وأمثالهم، بالإضافة إلى أن لهذا الكتاب ميزة تتعلق بما يضيفه إلينا من أخبار وأشعار ترتبط باليمن مما لم يرد قطّ في المؤلفات العربية الأخرى.

يتألف الكتاب من جزأين تلاهما كشافات بالأشعار، والأمثال، وأسماء الأعلام، والبلدان، والقبائل ونحوها، وكل جزء منهما يتكون من أخبار وقد بلغ عددها مائة خبرٍ، فيبدأ الجزء الأول بالخبر الأول وينتهي بالخبر الثالث والستين ثم يبدأ الجزء الثاني بالخبر الرابع والستين وينتهي بالخبر المائة، بالإضافة إلى كلمات في اقوالهم؛ إذ قام باستحضار أقوال علماء آخرين وأمثال وذكر لنا الأشعار التي تضمنتها؛ إذ كثيراً ما يضمن البيت الشعري من الأمثال والأشعار والآيات القرآنية أو من الأحاديث وكلها إمّا باقتباس حرفي أو جزئي أو بالمعنى بحيث لا يستطيع إلا القارئ المتمرس ان يدرك أنه ثمة تناصاً على اختلاف وتعدّد أنماطه من تاريخي أو ديني أو أدبي وغيرها من الأنماط.

وهذه الأخبار من الجواهر كلها مُسندة صحيحة مشتملة على فصيح الأشعار (ابن عقامة اليمني، 2024م، 19/1).

وقد بلغ عدد المقطوعات الشعرية والقصائد التي ضمنها ابن عقامة اليمني أخباره (429)، فضلاً عن أن الكلمات التي وردت في الكتاب هي عبارة عن أمثال ومأثورات تدور على الألسن قد ذكر من سبقه لها تفسيراً إلا أنهم اختلفوا في بعض ذلك فقام ابن عقامة بجمع ما فرقوا وحقّق في إيضاحه، وفيها ايضاً اشعار ولا تختلف كثيراً عن أخبار المئة سوى طريقة اعتماده على المأثور والمثل فحسب.

ومن ثم ان المؤلف لم يكتف بإيراد الاخبار بل تعدّى إلى ذكر اختلاف الروايات – إن وجد – ويقوم بجهود طيبة من مثل: تعليق، وتفسير، واستشهاد، وتأصيل(ابن عقامة اليمني، 2024م،383/2).

كما أن اختياراته نلاحظ انها تشي بخصوص الكتابات اليمنية الأدبية في هذا الوقت عبر الاهتمام بأخبار آل البيت(ع) والانتصار لهم من دون أي تشيع.

أما منهج الكتاب، فلم يتبع منهجاً أو معياراً معيناً في التأليف، فقد كان ابن عقامة يعرض بضاعته وفق ذائقته الفنية والأدبية، فنجد فن الشعر بجانب فن النثر مستبعداً الفصل بينهما، ثم نجد شاعراً متوفى في العصر العباسي إلى جانب شاعر متوفى في العصر الجاهلي وآخر في العصر الأموي، فطريقة تأليفه لم تكن مقيدة، وهذا بحد ذاته دليل همه الوحيد في تدوين الدرر الأدبية باختلاف عصورها وكأن الزمن لم يمنح ابن عقامة فرصة ليلزم نفسه بمنهج محدد يُرتب وفقه مادة كتابه.

المديح:

المدح ــ لغةً ــ: "نفيض الهجاء وهو حسن الثناء، يقال: مدحته مدحة واحدة، ومدحه يمدحه مدحاً ومدحة هذا قول بعضهم، والصحيح ان المدح المصدر، والمدحة الأسم، والجمع مدح، وهو المديح والجمع المدائح والأماديح" (ابن منظور(مادة مدح)،د.ت)، والمديح: بمعنى " الوصف بالجميل يقابله الذم: وبمعنى عد المآثر ويقابله الهجو"(الزبيدي، 2000م،199/2).

أما اصطلاحاً فهو " الثناء على انسان بذكر فضائله وتعداد خلاله الكريمة وخصاله العظيمة"(عبد الحميد المسلوت،1955م،260) ، وهو "ذكر مناقب شخص أو هيئة اجتماعية أو مزايا عمل من الأعمال في خطاب علني نثراً أو شعراً "(مجدي وهبة، وكامل المهندس، 1984م، 343).

ويعد المديح واحداً من أهم الموضوعات في الشعر العربي، قديماً وحديثاً؛ يلجأ إليه الشعراء على مر العصور، وهو فن من الفنون الشعرية القديمة المتجددة حتى اننا لم نر شاعراً قد أغفل عن نظمه، فالشاعر تارة يمدح الحاكم والخليفة والوزير والسلطان، ويعدد فضائله، وحسن أخلاقه، وصفاته الحميدة، وتارة يمدح دينه ومبادئه وتعاليمه التي يتمسك بها ويدافع عنها(البهبيتي، 1950م، 20).

ومهمة الشاعر في هذا الموضوع؛ إرضاء ممدوحه ليس بوصفه فرداً في أغلب الأحيان وإنما سقد يكون سلطاناً أو بلاطاً أو مجلساً أو قبيلةً، وبهذا فإن مهمة الارضاء تتجاوز شخصية الممدوح لتركز على تيارٍ سياسيٍّ أو دينيٍّ ينتمي إليه المخصوص بالمدح (سامي سويدان، 1989م، 108).

إن الاختيارات الشعرية في كتاب ابن عقامة تضمنت أغلب الموضوعات الشعرية التقليدية من (مدح، وهجاء، ورثاء، وغزل، وفخر.. الخ)، وقد ذكر المؤلف في اختياراته العصور الأدبية ابتداءً من العصر الجاهلي مروراً بالإسلامي والأموي وحتى العصر العباسي، ففي موضوع المديح نلحظ غلبة اختيارات العصر العباسي على بقية العصور الأخرى، وبعدد شواهد (32)، بينما المديح في العصر الأموي (18)، وفي العصر الإسلامي (21) والجاهلي (10)، ولعل سبب تلك الغلبة تعود إلى الازدهار الحضاري والانفتاح على الثقافات الاخرى والتطور الواضح في نواحي المجتمع كافة، مع تمتع الشاعر بحرية القول وقدرة التعبير عن رأيه والنقد في جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فضلاً عن تشجيع الخلفاء أنفسهم على قول الشعر فقد كانوا يغدقوا عليهم بالهبات والعطايا الجزية مما دفع الشعراء إلى الغلو في المدح(سامي أبو زيد، 2011م، 42)، " وعلى هذا الأساس كان اهتمام أولي الأمر والسلطة الشديدة بالمديح وكان عطاؤهم ومحاسبتهم لشعرائه ينم عن معرفة بخطورته، وكذلك حال الشعراء في استعدادهم له وإرهاقهم أنفسهم في سبيله وتنافسهم المحموم في ميدانه"(سامي سويدان، 1989م، 108).

وقد تنوعت اتجاهات المديح في اختيارات المؤلف، فمنه مدح ديني، ومنه مدح سياسي، ومدح اجتماعي، وتنوعت مضامينه بين العفة والعقل والكرم والشجاعة (القيرواني، 1981م،129/2)، ويتفرع هذا الموضوع إلى أنواع وفروع كثيرة منها ما يدخل في مدح الفرد ومنها ما يدخل في مدح الجماعة ومنها ما هو اكثر خصوصية وهو مدح الذات، وقد اتحفنا (ابن عقامة) في كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) باختياراته الشعرية القيمة فأوردَ لنا شواهد كثيرة في هذا الموضوع، وإذا تأملنا اختياراته نجد ان المديح النبوي ومديح أهل البيت يحتل الصدارة من بين موضوعاته، وهذا أمر طبيعي لأن المؤلف اليمني على المذهب الشافعي، وهو أقرب المذاهب إلى المذهب الشيعي (الجعفري)، فحب آل البيت الكرام في داخلهم على الرغم من مذهبهم الخاص بهم(أحمد أمين، 1429م، 2/ 240)

ومن ذلك قول مؤسس هذا المذهب الشافعي: (البسيط)

يـاآلَ بَيـتِ رَسـولِ اللهِ حُـبَّكُـمُ ... فَـرضٌ مِـــنَ اللهِ فـــي القُـرآنِ أَنزَلَـــــــهُ

يَكفيكُـــمُ مِن عَظيمِ الفَخـــرِ أَنَّكُم ... مَن لَم يُصَـــلِّ عَلَيكُم لا صَـلاةَ لَـهُ (الشافعي، 2008م،523/3)

ومن الاختيار الذي يدخل ضمن المديح النبوي ما قاله أبو العاص(ت12هـ)(المرزباني، 2005م، 332/1)صهر النبي الأكرم: (الطويل)

لَقَـدْ رُمِيَـتْ تَيْـمٌ وَفِهــرٌ ومـالِكٌ ... بِبَأْسِكَ فِي بَدْرٍ فَقَدْ سَكَنّـوا بَـدرَاً

وَأَفْنَيْتَ مَخْزُوماً فَلَمْ تُبْقِ مِنْهُـــمُ ... وَقَوْمَكَ قَـــدْ ذَلَّلْتَ فُرْسَانَهُـــمْ أَسْرَى

وَجَاءَتْ لُؤَيُّ كَيْ يَنَالَكَ مَكْرُهَـــا ... فَـأَسْقَيْتَهَـا سُمًّـا وَأَوْسَعْتَهَا مَكْرَا

وَإِنَّـكَ ذُخْـرِي وَالْمُعَـدُّ لِكُـرْبَتِـي ... وَكَهْفِي إِذَا ما الْكَرْبُ لَمْ يُبْقِ لِي ذُخْرَا(ابن عقامة اليمني، 2024م، 29/1)

إذ ذكرت هذه الأبيات في خبر أدبي يمدح فيها الرسول الكريم(ص) من صهره؛ زوج السيدة زينب(ع) أبو العاص بن الربيع، وفي هذه المناسبة أدرجت هذه الأبيات في المختارات الشعرية التي تعد من عيون الشعر العربي في موضوع المديح النبوي إذ ازدهر المديح النبوي ازدهاراً واضحاً في الفترات التي عاش فيها المسلمون المحن والشدة، فترى لنضج المديح النبوي مراحل عدة منها التي تسمى المرحلة التأسيسية في فترة الدعوة الإسلامية، وكان رسول الله في تلك المرحلة يوجه الشعراء إلى الدفاع عن العقيدة ورد هجوم المشركين على الرسول(ص) وأصحابه، وهذا النوع من الشعر يدخل في باب المدح، فالمدح موضوعه الأساسي يعرّف السامع بمناقب ممدوحه(فهمي، 1986م،93).

وفي كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) جسدت السيدة زينب بنت سيد المرسلين موضوع المديح من خلال مدح النبي فقالت: (الطويل)

لِيَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ نَفْسِي فِدَاؤُهُ ... وَيَحْبُوهُ مِنْ أَفْضَالِهِ بِالرَّغَائِبِ

نَبِيُّ مِنَ الرَّحْمَنِ بِالْحَـقِّ نَاطِـقٌ ... رَسُولٌ لَهُ ذَلَّتْ لُـؤَيُّ بْـنُ غَالِـب(ابن عقامة اليمني، 2024م، 27/1)

توشح البيتان بعاطفة دينية صادقة، تمزج بين الحب والفداء والاقرار بالفضل والنبوة، حيث عبرت السيدة الجليلة(ع) عن أقصى درجات الولاء للنبي الأمين(ص)، فتعلن استعدادها الكامل في بذل النفس فداء لرضاه، فهو المرسل من

قبل الاله والمؤيد برسالته الناطقة بالحق بدليل قوله تعالى: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى"(سورة النجم: 3-4)، وبذلك ارادت بيان منزلة النبي(ص) مقابل تَذلّل أشرف قبائل قريش له.

ومثل ذلك قولها(عليها السلام): (الكامل)

وَلَئِنْ ذَخَرْتِ يَدَ الْحُرُوبِ لأَحْمَدٍ فَلَهُ العَلاَءُ وَضِدَّهُ المَكْبُوبُ (ابن عقامة اليمني، 2024م، 32/1)

يدور الاختيار النبوي حول نعت الرسول الكريم(ص)، الذي كملت صفاته من شجاعة وحُلم ورفعة ومنزلة عالية فيتضح ذلك بالقول (فله العلاء)، فقد كان العلو والعزة ملازم له سواء في السلم والحرب، مما يعكس التعظيم لشخصه، فهو لا يحتاج إلى اثبات منزلته؛ لأنه مصدر قوة وصاحب أعظم رسالة سامية فمن يقف ضده يتلقى الهزيمة والخسارة الفادحة.

ووظف النابغة الجعدي(ت70هـ)(ابن قتيبة، 1946م، 280/1) معاني المديح بعد ان نظر إلى الحسن والحسين وَلَدَيْ أمير المؤمنين(ع) فقال:

(الكامل)

بدران من شمسٍ كريما نبعةٍ أفنانُها بهُدى النُّبوةِ تزهـــــــــرُ

في حجر طاهرةٍ لفرعٍ طاهـرٍ كَرُمت منابتُه وطابَ العنصـــــــرُ

الأطيبون أرومةً من هاشـــم والأكرمـــــون مآثِـــــراً لا تُنْكَـــرُ

والبيت ينسبهم وينسب منهم ومِنى تورثها الصغيرَ الأكبرُ(ابن عقامة اليمني، 2024م، 317/2)

جاء الاختيار الشعري محملاً بمعاني المديح لأهل البيت الكرام إذ اسبغ عليهم صفات الحسب والنسب والطهارة والكرم، فالعرب أمة عريقة تفرح بابنائها المنحدرين من نسل النبي الأمين(ص) ومن سلالة قريش، فاستعمل الشاعر الرموز الدينية المتمثلة في (البيت، وزمزم، والكوثر) ليؤكد طهارة النسب، وعلو المنزلة فهم سادة البيت، ومنزل الوحي والنسب ينتقل من كبيرهم إلى صغيرهم، ثم يواصل النابغة قوله: (الكامل)

شفعاؤنا عند الإلهِ ومن بــه عام الرمادة يُجْبر المُسْتَمطـــــــــرُ

يا صفوة الله التي نبّأبهـــــا في الوحي جبريل الأمينُ الأطهـــــرُ

أنتم هداةٌ كالنجوم لأهلهـــــا ولبركم جادت سماء تهْمـرُ(ابن عقامة اليمني، 2024م، 318/2)

فيتخذ منهم واسطة إلى الرب الكريم لأنهم أصل هذه الحياة ومن والاهم نجى، مع الاشادة بالوحي الذي أشار إلى منزلتهم وفضلهم، وذكر ما لهم من كرامات في الشدة ودورهم البارز في هداية الناس، والقرب من الإله مستنداً في ذلك إلى الروايات الاسلامية والنصوص الدينية فضلاً عن استعماله المعاني التي تربطهم باللطف السماوي والعطف الالهي.

ويظهر المديح بارزاً عنده، فنراه يبتهج للقاء الرسولفيقول: (الطويل)

أَتَيْتُ رَسُـــولَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِـــالهُدَى وَيَتْلُو كِتَابَاً وَاضِحَ الْحَـــــق نَيّرَا

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْداً وَجُوداً وسؤدداً وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَـــراً(ابن عقامة اليمني، 2024م، 318/2)

يشير الاختيار الشعري بمدح الرسول الكريم(ص) من شاعر آمن به؛ مكباً وقلباً، مما يعكس تمجيداً و تعظيماً للرسالة المحمدية، واعترافاً واضحاً بفضل الدين الاسلامي في رفع منزلة القوم وإيصالهم إلى أعلى مراتب المجد والشرف والعزة بقربهم من النبي(ص) مع توجيه ديني بارز نحو حسن الظن والثقة بالله في نيل المزيد من الرفعة والكرامة.

ونجد اختياراً شعرياً آخر للمؤلف في هذا الموضوع عندما قدم الفرزدق (ت110هـ)(الجمحي، 1974م، 297) إلى الكوفة فاستقبله الكميت (ت126هـ)(الاصفهاني، د.ت، 328/16) فقال: يا أبا فارس قد قلت قصيدة أحببتُ أن تسمعها مني، فقال هات، فقال: (الطويل)

طربــتُ وما شوقــاً إلــى البِيض أطــربُ ولا لعباً مني أذو الشـــيب يلعبُ

فقال الفرزدق: فبأي شيء طربت؟ قال:

ولم تُلهنـــــــي دارٌ ولا رســـمُ منـــــزلٍ ولم يَتَطَرَّبْنِي بنـــانٌ مُخضَّـــــــبُ

قال الفرزدق: فبأي شيء ويحك ألهاك، وأي شيء أطربك؟ واستمر الحوار بينهما إلى أن قال الكميت:

ولكِنْ إِلَى أَهْل الفَضَائِل وَالنُّهَى وخَيرِ بَنِي حَوَّاءَ والخَيـــرُ يُطْلَـــبُ

إلى النَّفَرِ البيضِ الذِينَ بحُبِّهِـمْ إلــى الله فِيمَـــــا نَابَنِـــــي أتَقـــرَّبُ

بنِـــي هَاشِم رَهْـــطِ النَّبي فَإِنَّنِـــي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَاراً وأغْضَـــبُ(ابن عقامة اليمني، 2024م، 49/1)

ان اهتمام الشاعر بالمعاني العقلية من الفضائل والعقل والعفة والشجاعة؛ جعله يوظف هذه الصفات في مديح بني هاشم؛ رهط النبي(ص)، وهي صفات ترفع من شأن الممدوح متى ما توافرت فيه، فآل هاشم توافرت فيهم مقومات المديح التي جعلت من حبهم سبيلاً إلى النجاة في الآخرة، فبهم يتقرب، وبهم يناجي ربه، ولهم يرضى، ولهم يغضب.

ويستمر الكميت بمدح أهل البيت الاطهار في مواضع متعددة، ويعرض ذلك بأبياتٍ رائعة تشيعه وانتماءه وولاءه فيقول: (الطويل)

وَمَا لِيَ إلا آلَ أَحْمَـــــــدَ شيعَـــــــةٌ ... وَمَا ليَ إلاّ مَشْعَبَ الحَقّ مَشْعَـــــــبُ
وَمَنْ غَيْرُهُمْ أَرْضَى لِنَفسِي شِيعَـــــةً ... وَمَنْ بَعْدَهُمْ لا مَنْ أجِلُّ وأرْجَـــــــبُ
يُعيّرُني جُهَّـــالُ قوْمـــــي بِحُبهـــــم ... ويغضهم أدنى لعـــــارٍ وأقـــــــربُ
إليكـــم معـــاً آلَ النبـــيّ تَطلَّعَـــــتْ ... نوازعُ من قلْبي ظِمـــــاءٌ وألْبُـــــبُ
وإني لِمَـــنْ شايعتـــــمُ لَمُشايـــــعٌ ... وإنـــــي فيمـــن سبَّكـــم لَمُسَبـــبُ
يشيرون بالأيـدي إلـــي وقولهـــــم ... ألا خاب هذا والمشيـــرون أخيـــبُ!
فطائفـــــة قـــد كفّرونـــي بحبكـــم ... وطائفةٌ قالوا: مُسِـــيءٌ وَمُذْنِـــــبُ!
فما زلتُ منهمْ حيثُ يتهموننـــــــي ... ولا زلت فـي أشياعهـــم أنقلـــبُ(ابن عقامة اليمني، 2024م، 50/1)

ان الموضوع الرئيس لهذه الأبيات مدح أهل البيت(عليهم السلام)، ويتضح ذلك من خلال تأكيد الولاء لهم والانتماء إليهم والتعلق الروحي بهم، فيصفهم الشاعر بأنهم (شيعته) و (مشعبه) فهو يفضلهم على غيرهم ويشير إلى انه لا يرضى بغيرهم شيعة ولا يجل ويرجو أحداً غيرهم، فيثني عليهم فهم مشعب الحق وأهل العدل والانصاف، ويفتخر بالانتماء لهم ويعتبر ذلك شرفاً ورفعة له فهو يتبعهم في كل تفاصيل حياته، ومن خلال مفردات هذه الابيات يرد على المشككين بآل البيت الكرام والذين يتهمونهم بالباطل فيدافع عنهم، ويذكر مناقبهم، ويبرز فضائلهم، ويعدد صفاتهم، فيؤكد ان العدل ملازم لهم وهم أهل له، ثم يذكر ان حبه لآل النبي يعرضه للانتقاد من قومه والاستهزاء به ولكنه يرى ان بغضهم وحقدهم أشد عاراً عليهم.

ولم تكن اختيارات المؤلف الشعرية في هذا الموضوع مختصة بالمديح النبوي ومديح أهل البيت الاطهار(عليهم السلام)، بل أورد كثيراً من المدائح التي تخص الملوك والوزراء والرعية والمجتمع، فعبر الشعراء بمدائحهم عن اعجابهم وقربهم من ممدوحهم، فهم يجتمعون حول الملوك والخلفاء ويتقربون بشعرهم من ذوي المكانة العالية وأصحاب السلطة "فالشاعر قريب من الساسة، ولابد ان يكون له رايه في الخليفة أو الأمير أو الوزير، كما انه على علم بأحداث زمانه، ولابد ان يكون له رأيه فيها سلباً كان أم إيجابا"(الخاتوني، 2023م، 53). ومما اوردهُ المؤلف في موضوع المدح ما جاء في الخبر السادس برواية أبي عبيدة مَعمرَ بن المثنى(ت209هـ)(الذهبي، 1996م، 445/9) عندما ضم سليمان بن عبد الملك وهو ولي عهد أخيه وخاصته الشاعر يزيد بن الحكم الثقفي(ت105هـ) (الذهبي، 1996م، 520/4) إليه فقال له يمدحه: (البسيط)

يا أرفض النـــــاس للدنيـــــا ولذتهـــا ... أشدهـــــــم زَهَـــدّا فيهـــا وتزهيـــــدا
ان يصبح الناسُ جمعاً حاسديك فقـــد ... أضحى لديك التقى والبِرُّ موجـــــــودا
سميت باسم امرئ شبهـــــت سيرتـه ... حلماً وجـــــوداً سليمـــان بـــن داودا
أحمد بن كان في الماضين من مَلـــكٍ ... وأنت أصبحت في الباقين محمـــــــودا(ابن عقامة اليمني، 2024م، 44/1)

يسبغ الشاعر الصفات الحميدة على ممدوحه مثل الشجاعة والكرم والعفة والزهد، وهو بذلك يرجو القربة منه، ونيل العطايا، وبذل كثير من الهبات، حتى صار يقرنه برموز عظام مثل داود بن سليمان ليضفي عليه هالة من العظمة والهيبة والتقدير، كما انه يظهر اعجابه به فيوظف أساليب مختلفة للتعبير عن هذا الاعجاب وتبين ذلك عبر استعماله اسلوباً يعتمد على الصور الشعرية فيه والتشبيهات والاستعارات مع تدفق المعاني القوية المؤثرة التي تعبير عن ذلك الاعجاب، فضلا عن التنوع في الموضوعات التي تناولتها الابيات بين المدح بالصفات الحميدة والتحذير من الدنيا الفانية والتذكير بالآخرة.

ومثل ذلك قول زياد الأعجم (قيل 101ه، وقيل 110هـ)(ابن قتيبة، 1946م، 430/1) (الطويل)

وإنك مثل الشمس لا سِتر دونها ... فكيف أبا حفص عليَّ ظلامها(ابن عقامة اليمني، 2024م، 50/1)

يعظم الشاعر من مآثر ممدوحه فيقرنه بالشمس الساطعة التي لا يستطيع أحداً اغفال نورها، حيث يؤكد ان الظلمُ يستحيل ان يصدر منه إشارة إلى عدالة حكمه من دون تملق وتصنع وبهذا اراد ابراز سجاياه الحميدة التي كان يتصف بها.

ان الاختيار الشعري الذي اورده اليمني في كتابه (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) حافل بصفات عدة جعلت الشاعر يتراوح في انتقاء المعاني الحميدة التي يضفيها على ممدوحه من كرم وشجاعة وعطاءٍ ومساندة من ذلك قول نصيب الشاعر (ت120هـ)(ابن قتيبة، 1946م، 410/2). (المتقارب)

لِعَبدِ العَزيـــزِ عَلَـــى قَوْمِـــــهِ ... وَغَيرهـــمُ نِعَـــمٌ ظاهِـــــره
فَبَابُـــــك أسهـــــلُ أبْوَابِهـــمْ ... وَدَارُكَ مأهُولَـــــةٌ عَامـــــرِه
وَكَفُّكَ حِيـــــنَ تَرَى المُعتَفيـــــن ... أندى مِن اللَّيْلَةِ المَاطِـــــرَه

وقلبُـــــك أرأف بالزائريـــــــــــن مِنَ الأُمَّ بالأبنَةِ الزائِـــــــرة(ابن عقامة اليمني، 2024م، 89/1)

وهذه الأبيات تشتمل على مدح العبد لسيده إذا كان خير ظهير له، وربما يكون هذا النوع من المدح في سبيل الاستعطاف على غرار ما يردنا في شعر مدح التكسب الذي يحاول فيه الشاعر أن يظهر صفات ممدوحه الحميدة في سبيل استدرار كرمه، نجد العبد هنا يمدح سيده في سبيل استمرار عاطفته، ويمكن ان القول ان الموضوعات الشعرية تخرج من عباءة الموضوع نفسه لتؤدي موضوعاً وتعبيراً آخراً "وهذا من باب مراعاة المقام ومقتضى الحال ومتطلبات التعبير والحال هو الامر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية في التركيب"(القزويني، 1985م،36).

وتأتي هذه الأبيات في مناسبة مفادها ان سيداً أراد بيع عبده (نصيب الشاعر) فطلب منه ان يختار مولى له فقام بمدح مولاه عبد العزيز بن مروان ليكون سيداً له،فأمر له بجائزة مقدارها ألف دينار، وهنا يخرج المدح إلى تقدير حالة التكسب التي جرت عليها عادة مدح الملوك والسادة وغيرهم من اصحاب الامر ولكن العبد اعتذر فولاؤه لسيده وممدوحه لا يجيز له ان يقبل جائزةً(ابن عقامة اليمني، 2024م، 88/1-89).

ويمدح الفرزدق(ت110هـ)(الجمحي،1974م،297) رجلاً اسمه سليمان، فقال فيه: (الطويل)

قِفُوا خبروني عَنْ سُلَيْمَانَ إِنَّنِي لِمَعْرُوفِـــــه مِـــنْ آلِ وَدَّانَ طَـــالِبُ

فَعَاجُوا فَأَثْنَوا بِالذِي أَنْتَ أَهْلُـــهُ وَلَوْ سَكَتُـوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ(ابن عقامة اليمني، 2024م، 91/1)

يمثل البيتان مدح رجل كريم يشار إليه بالبنان مع التصريح الواضح باسمه (سليمان) فهو ذائع الصيت، سمعته سبقته من دون حديث، لأنَّ فضله ظاهر، وكرمه معروف، فيطلب عطاءَه ونيل سخائِه فضلاً عن إظهار النسب والحسب وهي من الصفات البارزة في علية القوم.

ومن اختيار المؤلف في هذا الموضوع ما ذكر في الخبر السابع من كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) برواية سفيان الثوري(الزهري، 2001م، 371/6-374) ما قاله أبو يعقوب الخريمي (ت276هـ)(ابن قتيبة، 1946م، 410/2). . (الرمل)

زَادَ معرُوفُكَ عندي خطـــراً أَنَّهُ عِنـــــدكَ مستـــورٌ حقيـــــر

تَتَنَاســـاهُ كَـــأَنْ لَـــمْ تَأتِـــهِ وَهُو عِنْدَ النَّاسِ مشهورٌ كبيرْ(ابن عقامة اليمني، 2024م، 47/1)

فالشاعر يعترف ويعظم عطايا ممدوحه، وأنه ينفق بلا حساب عليه، وذلك تعزيزٌ لتلك القيمة العليا(الكرم) في نفس المتلقي فهو لم يقتصر على إشهار قيمة الكرم بقدر ما يركز على دوام تلك النعمة التي جعلت ممدوحه يكرمه وينسى ما أكرمه به، ليعقبه بكرم آخر جعله مشهوداً بين الناس بتلك الصفة الحميدة، وقد ورد هذان البيتان في خبر أدبي بعد أن دخل سفيان الثوري على الامام جعفر الصادق(ع) فقال له: يا سفيان إني افكر في المعروف فرأيته لا يتم إلا بثلاث خصال، قُلت ما هنَّ بأبي أنت وأمي؟

قال: تعجيله وستره وتصغيره(ابن عقامة اليمني، 2024م، 47/1)؛ وبهذا أراد الامام ان يبين حقيقة المعروف والدوام عليه فهو فضيلة من فضائل حسن الخلق، ومن هذا الحديث أخذ الشعراء ينظمون الأبيات الشعرية المختصة بالمديح باضفاء صفة المعروف على الممدوح.

وخلاصة ما تقدم؛ نجد ان ابن عقامة اليمني قد أحسن اختيار شواهده في المديح، حيث ركز على تلك النصوص التي اشتملت على الصفات الحميدة التي يرغب العربي في تمجيدها واشاعة ذكرها من كرم، وشجاعة، وعدل، وعقل وغيرها.

الخاتمة

توصل البحث إلى نتائج متعددة أبرزها ما يلي:

- كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) جمع المؤلف ابن عقامة بين دفتيه مادة أدبية وفيرة لكثير من الشعراء على اختلاف عصورهم.
- أن شعر المديح بصورة عامة في كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) لا يخرج عن إطار الشكل العام الذي رأيناه في الأدب العربي باختلاف العصور المتعددة فظل المديح بالشجاعة والعفة والكرم ملامح يتسم بها شعر المديح.
- تفوّق اختيارات ابن عقامة اليمني لموضوع المديح في كتابه مما لا يجعل مجالاً لوضع مقارنة بينه وبين الموضوعات الشعرية الأخرى، لأسباب ربما قد ترجع إلى المؤلف الذي يحمل الود والمحبة والاعجاب لأهله والآخرين.
- تنوع شعر المديح في كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) بين مديح ديني وبين مديح سياسي ومديح اجتماعي.
- ان اختيارات ابن عقامة اليمني لشعر مديح النبي محمد(ص) واهل بيته (عليهم السلام)، تعكس مدى ارتباط المؤلف وشعراء (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) بالنبي الاكرم (ص) وحبهم لأهل بيته(عليهم السلام).

المصادر والمراجع
أولاً: القرآن الكريم
ثانيا: الكتب

- الأدب العباسي، الشعر، سامي يوسف محمود ابو زيد، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، ط1، 2011م.
- الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام، عبد الحميد المسلوت، ومحمد عبد المنعم خفاجه، المطبعة المنيرية، القاهرة، 1955م.
- الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستغربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان، ط5، 2002.
- الاغاني، أبو الفرج الاغاني(356هـ)، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي، دار إحياء التراث، بيروت، (د.م)، (د.ت).
- الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني(ت739هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط6، 1985م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تحقيق؛ ابراهيم الترزي، مراجعة الدكتور محمد سلامة رحمة ومصطفى حجازي والدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، ط1، 2000م.
- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهبيتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950م.
- تاريخ المستبصر، ابن المجاور، دار الشرق، ط1، 1996م.
- جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، القاضي مؤتمن الدين الحسن بن محمد بن أبي عقامة اليمني (ت480هـ)، تحقيق: نهى عبد الرزاق حنفاوي، المعهد الالماني للأبحاث الشرقية في بيروت، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 2024م.
- خريدة القصر وجريدة العصرش، عماد الدين الكاتب الاصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، (د.ت).
- ديوان الشافعي، الامام ابي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط3، 2005م.
- السلوك في طبقات العلماء والملوك، ابي عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السَّكسكي الكندي (ت732)، بتجزئة المحقق محمد بن علي بن الحسين الاكوع الحِوالي، مكتبة الارشاد، صنعاء، اليمن.
- سير اعلام النبلاء، شس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (748هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1996م.
- الشعر والشعراء، أبن قتيبة مسلم بن الحجاج الدينوري (276هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1946م.
- ضحى الاسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، 1429هـ.
- طبقات ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي – القاهرة، 2001م.
- طبقات فحول الشعراء، محمد أبن سلام الجمحي (231هـ)، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، 1974م.
- طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي بن سمرة الجعدي، تحقيق: فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية، دار القلم، بيروت – لبنان.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (456هـ)، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط5، 1981م.

- في النص الشعري العربي (مقارنات منهجية)، سامي سويدان، دار الآداب، بيروت- لبنان، ط1، 1989م.
- قضايا في الأدب والنقد رؤية عربية، ماهر حسن فهمي، وقفة خليجية، دار الثقافة، قطر، الدوحة، ط1، 1986م.
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، الهجراني الحضرمي الشافعي، تحقيق: بو جمعه مكري وخالد زواري، دار المنهاج، جدة، ط1، 2008م.
- الكتاب، أبو عمرو عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت180هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، 1974م.
- كشاف مخطوطات كتاب الطاووس اليمني، عبد الكريم الكرماني، دار المخطوطات، صنعاء – اليمن، (د.ت).
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت، بيروت – لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني(ت384هـ)، تحقيق: د. فاروق اسليم، دار صادر بيروت – لبنان، ط1، 2005م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
- نظرات نقدية في الأدب العربي، أ.د. مقداد خليل قاسم الخاتوني، دار نون للطباعة والنشر، الموصل – العراق، ط6، 2023م

المستخلص باللغة الانكليزية

The research aims to study the art of praise in the poetry of the poets of (Jawahir al-Akhbar wa Mulh al-Ash’ar) as an artistic subject used by poets in their poetic texts expressing admiration for the qualities of the praised one. Its trends varied among the poets, including religious praise, political praise, and social praise. Its themes varied between chastity, intellect, generosity, and courage. The research concluded with a summary of the most important results that the researcher reached